رابعاً

نبذة عن المعاجم العربية والمعجم الوسيط

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً : التمهيد

رغم أن العرب لم يكونوا أول من ابتكر فن تأليف المعاجم فإنهم أول أمة وضعت معجما كاملا دقيقا بالمعنى المتعارف عليه بين اللغات الحية .

وهناك شبه إجماع على أن هناك شعوبًا ثلاثة سبقوا العرب بأكثر من ألف عام فى ابتكار معاجم خاصة بلغتهم ، وهم الأشوريون والصينيون واليونانيون .

فالأشوريون خافوا على لغتهم أن تضيع فصنعوا معاجم دعتهم إليها الضرورة عندما تركوا نظام الكتابة الرمزية القديمة واستبدلوا به نظام الإشارات المقطعية ، وأعانهم على ذلك أن لغتهم السومرية القديمة لم تكن قد انمحت بعد ، لأن الكهنة كانوا يستعملونها فى شعائرهم الدينية ، فجمعوا ألفاظهم فى مسارد محفورة على قوالب الطين .

وعرف الصينيون المعاجم قبل العرب ، واشتهر عندهم معجمان هامان كانا هما الأساس لمعاجم الصين واليابان ، وهذان المعجمان هما : معجم yu pien يوبيان ، الذى طُبع سنة ٥٣٠ بعد الميلاد ، ومعجم show wan شو فان الذى طبع سنة ١٥٠ قبل الميلاد[1] .

وعرف اليونان المعاجم قبل العرب أيضاً ، وكان بعضها يتبع نظام الحروف الأبجدية ، وأكثر من وضع هذه المعاجم علماء جامعة الإسكندرية فى عهد البطالسة ، وكان بعض هذه المعاجم خاصا مقصورا على مفردات بعض الخطباء أو المفردات الواردة فى كتب أفلاطون الفلسفية أو كتب أبقراط الطبية . وأقدم المعجمات اليونانية القديمة معجم يوليوس بولكس yulius pollux وهو كالمخصص لابن سيده مرتب على المعانى والموضوعات ، ومعجم هلاديوس Helladius السكندرى ، وكان فى القرن الرابع الميلادى .

(١) الصحاح والمعجمات العربية / د. أحمد عبد الغفور عطار ص ٥٦ وما بعدها .

وأقرب هذه المعاجم شبها بالمعجم الحديث معجم فاليريوس فليكس valerius flaccus وعنوانه «فى معانى الألفاظ» وما يزال موجزه باقيا حتى اليوم[1] .

أما العرب فى العصر الجاهلى فلم يعتنوا بجمع لغتهم وتدوينها لأنهم كانوا أميين ، ولم تكن حاجتهم داعية إلى تأليف معجم حتى جاء الإسلام فدعت الحاجة إلى أن يسألوا عن معانى الكلمات ذات الاصطلاح الجديد ، كما كانوا يسألون عن بعض الكلمات التى استغلق عليهم فهم معناها[2] .

ويُجمع الدارسون على أن بداية المعجم العربى كانت بعد نزول القرآن الكريم ، ومنذ واجه المسلمون الأوائل مشكلة فهم ألفاظ القرآن الكريم . وقد كان النبى ﷺ يفسر للصحابة ما صعب عليهم من ألفاظ أو معانٍ غامضة فى القرآن الكريم أو فى الحديث الشريف ، فكان بمثابة المرجع الرئيسى للأسئلة الدينية أو اللغوية التى يوجهها إليه الصحابة الأجلاء .

ومن ذلك ما روى عن رسول الله ﷺ قوله : إن أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وأبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة هم الثرثارون والمتشدِّقون والمُتفيهِقُون ، قالوا : يا رسول الله قد عرفنا الثرثارين والمتشدقين فمن المتفيهقون ؟ قال : المتكبِّرون . وفى كتب الحديث والآثار أن النبى ﷺ تحدث إلى وفد بنى نهد بعبارات سمعها على بن أبى طالب ولم يعرف معناها ، فقال : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلِّم العرب مما لا نعرفه ، فقال رسول الله ﷺ : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش .

وأشهر من تصدى للتفسيرات اللغوية فى النص القرآنى بعد رسول الله

(١) دائرة المعارف البريطانية ٧/ ١٧٩ - ١٩٣ ط التاسعة .

(٢) الصحاح والمعجمات العربية ص ٥٧ .

عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) ، فقد كان يتصدر لشرح وتفسير الغوامض والمشكلات التى تواجه المسلمين الأوائل فى فهم كتاب الله حتى كان يؤدى - بحق - ما تؤديه المعجمات الموجودة بين أيدينا لطالبى الكشف عن الغامض أو المُبْهَم من المفردات أو المعانى .

وكان ابن عباس يعتمد فى تفسيراته على إحاطته شبه الشاملة بديوان العرب ، وهو الشعر ، وكان يقول : الشعر ديوان العرب فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب ، رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه[1] .

ويقول أيضا : إذا تعاجم شئ من القرآن فانظروا فى الشعر ؛ فإن الشعر عربى ، والله تعالى يقول : ﴿ إنَّا جعلناه قرآنًا عربيًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ بلسان عربى مبين ﴾ .

ويحدثنا المؤرخون أن ابن عباس كان جالسا بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن الكريم ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بنى عويمر : قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن الكريم بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله عز وجل ، فتفسره لنا ، وتأتينا بمصداقه من كلام العرب ، فإن الله عز وجل إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فقال ابن عباس : سلانى عما بدالكما ، تجدا علمه عندى حاضرا إن شاء الله تعالى ، فقالا : يا ابن عباس ، أخبرنا عن قول الله عز وجل : « عن اليمين وعن الشمال عِزِين »[2] قال العِزُون : الحَلَق الرِّقَاق . قالا : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عَبِيد بن الأبرص ، وهو يقول :

فجاءوا يُهْرَعُونَ إليه حتى ... يكونوا حَوْلَ مِنْبَرِه عِزِينا

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/ ٥٥ .

(٢) المعارج ٣٧ .

قال نافع : يا ابن عباس ، أخبرنى عن قول الله عز وجل : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾[1] ! قال : الوسيلة : الحاجة . قال : أو تعرف العرب ذلك ؟ قال: نعم ، أما سمعت عنترة بن شداد وهو يقول :

إنَّ الرجالَ لهمْ إليكِ وسيلةٌ إنْ يأخذوكِ تكحَّلِى وتخضَّبِى

وهكذا يمضى نافع يسأل وابن عباس يفسر ، ويستشهد على تفسيره ببيت من الشعر ، فى حوالى مائتين وخمسين موضعا من القرآن الكريم .

وقد عُرفت هذه المحاورات فى التاريخ بـ : «مسائل نافع بن الأزرق» أو «سؤالات نافع بن الأزرق»[2] .

وقد عَدَّ المؤرخون هذه المحاورات النواة الأولى للمعاجم العربية ، كما عزا المؤرخون لابن عباس كتاب «غريب القرآن» ، الذى عُثر على نسخة منه قبيل الحرب العالمية الثانية ، ويرجح بعض الباحثين - ومعه الحق - أن ابن عباس لم يكن هو الذى دوَّن كتابا فى غريب القرآن وإنما دوَّنه أحد الرواة الذين جمعوا بعض أقواله التى أدلى بها فى تفسير الغريب من ألفاظ القرآن .

وهناك تفسير منسوب لابن عباس هو « التفسير الأكبر » رواية ابن أبى طلحة وابن الكلبى، وفيه شرح لمفردات القرآن الكريم مع تفسير آياته البينات ، وصنيع ابن عباس فى هذا التفسير هو صنيع معجمى[3] .

وقد سار على نهج ابن عباس أَبَانُ بن تغلب بن رباح الجريرى ، المعروف بأبى سعيد البكرى، مولى بنى جرير بن عباد، وكنيته أبو أميمة (ت ١٤١ هـ)،

(١) سورة المائدة : الآية (٣٥) .

(٢) ورد بعضها فى الكامل للمبرد ٢/ ١٦٤ وما بعدها ، ومعظمها فى الإتقان للسيوطى ، النوع السادس والثلاثون ٢/ ٤-٨٨ ، وقد جُمعت فى كتاب مستقل وتوفَّر على نشره د. إبراهيم السامرائى فى بغداد سنة ١٩٦٨ .

(٣) الصحاح والمعجمات العربية ص ٦٤ .

وكان قارئا فقيها لغويا ، ألَّف كتاب « غريب القرآن» وذكر شواهده من الشعر كابن عباس .

وإذا كان ابن عباس ثم أبان بن تغلب وضعا «نواة» المعجم العربى وجعلا محوره هو القرآن الكريم فإن الخليل بن أحمد الفراهيدى يُعَد بحق أول من صنف معجما جديرا بهذا الاسم ، لأنه جمع ألفاظ اللغة وشرح معانيها ورتبها ترتيبا علميا ، وقد قصد من وراء معجمه إلى حصر اللغة وشرح كل ما استطاع من مفرداتها .

تعريف المعجم

المعجم فى اللغة :

العُجْم ، والعَجَم : خِلافُ العُرْب والعَرَب .

والأعجم الذى لا يُفصح ولا يُبيِّن كلامَه ، والعَجْم: الإبهام والخفاء وعدم الإفصاح . قال الشاعر :

مَنْهلٌ للعباد لابُدَّ منه ... مُنتهى كلِّ أعْجمٍ وفَصِيحِ

وعجمتُ الكتابَ : أبهمتُه ، ومن ذلك : قولهم رجل أعجم وامرأة عجماء إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما ، وسُمِّيت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم ، وبلاد العَجَم سماها العَرَب بذلك لأن لغتها غير واضحة لهم ولا يفهمونها[1] .

فإذا أدخلنا الهمزة على الفعل ليصير « أعْجَم » أخذ الفعل معنى جديدا من معنى الهمزة الذى يُفيد هنا السلب والإزالة والنفى ، ففى اللغة : أشكيتُ زيدا : أزلتُ له شكَايته ، وفيها : أقذيتُ عينَ فلانٍ إذا أزلتُ ما بها من قذى ، ومثلها قَسَط بمعنى ظَلَم وأقْسطَ بمعنى أعدل أى أزال الظلم ، وشفى

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة عجم ، وسر صناعة الإعراب لابن جنى ١/ ٤٠ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط ١٩٥٥ .

عالج وأشفى بمعنى أتعب ، ووعد وأوعد ، وبهذا يصير معنى أعجم : أزال العُجْمة أو الغموض أو الإبهام ، ومنه أُطلق على نَقْط الحروف الإعجام ، أى إزالة اللَّبْس والغموض ، فحرف الجيم بدون النقطة يصلح أن يكون جيما أو حاء أو خاء فإذا وضعنا النقطة ، أى أعجمناه زال الغموض .

ومن هنا أيضا جاء لفظ « المُعْجَم » بمعنى الكتاب الذى يجمع كلمات لغة ما ويشرحها ويوضح معناها ويرتبها بشكل معين .

إذن كلمة معجم إما أن تكون اسم مفعول من الفعل أعجم ، وإما أن تكون مصدرا ميميا من نفس الفعل ويكون معناها إزالة العُجْمة والغموض[1] .

أما المعجم فى الاصطلاح فهو :

كتاب يضم أكبر عدد ممكن من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها ، على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا ، إما على حروف الهجاء وإما على الموضوعات . . . إلخ .

وفى تعريف ثان للمعجم :

هو كتاب يضم كل كلمة فى اللغة مصحوبة بشرح معناها ، واشتقاقها ، وطريقة نطقها ، وشواهد تبين مواضع استعمالها .

وفى تعريف ثالث للمعجم :

هو ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم ، أى حروف الهجاء[2].

وأول من استعمل لفظة «المعجم» هم رجال الحديث وليس علماء اللغة ، وأول من استعمل اللفظة من المحدِّثين الإمام البخارى ، فقد جاء فى «الجامع

(١) البحث اللغوى عند العرب ، د. أحمد مختار عمر ص ٥٢ .

(٢) المعجم الوسيط : مادة عجم .

الصحيح» عنوان من تعبير البخارى يقول فيه : باب تسمية من سُمِّى من أهل بدر فى الجامع الذى وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم ، والجامع هو أحد مؤلفات البخارى ، وأبو عبد الله هو البخارى نفسه ، وأول كتاب أطلق عليه اسم « المُعْجَم» هو : معجم الصحابة لأبى يعلى أحمد بن على بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمى الموصلى ، المولود فى سنة ٢١٠هـ والمتوفى سنة ٣٠٧هـ .

ثم جاء بعده الإمام البغوى أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز المعروف بابن بنت منيع ، المولود فى سنة ٢١٤هـ والمتوفى فى سنة ٣١٥هـ وسمَّى كتابيه اللَّذيْن ألفهما فى أسماء الصحابة : المعجم الكبير ، والمعجم الصغير .

ثم كثر استعمال المحدِّثين لكلمة « المعجم » وعنهم أخذ اللغويون ، ورغم أن الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) هو صاحب أول معجم فى العربية فإنه لم يُسمِّ كتابه «معجما» وإنما سماه كتاب العين وليس (معجم العين) ، وكذلك أبو عمرو الشيبانى صاحب كتاب الجيم (ت ٢١٣هـ) ، وأبو عبيد القاسم بن سلام صاحب كتّاب (الغريب المصنف) ، وابن دريد صاحب كتاب (جمهرة اللغة) ، والفارابى صاحب كتاب (ديوان الأدب) وغيرهم . والواضح أن اللغويين القدامى لم يستعملوا لفظ (معجم) ولم يطلقوه على مؤلفاتهم المعجمية ، إنما كانوا يختارون لكل منها اسما خاصاً بها يخلو من هذا اللفظ ، ويبدو أن إطلاق لفظ معجم على هذه المؤلفات جاء فى وقت متأخر .

ولم يُطْلِق لفظ (معجم) على المؤلف المعجمى بشكل مباشر إلا مجمع اللغة العربية عندما سمى: المعجم الكبير ، المعجم الوسيط، والمعجم الوجيز .

وقد استعملت كلمة معجم فى العربية بدلالة أخرى غير الدلالة السابقة ، وهذه الدلالة الأخرى هى : الكتاب الذى يقدِّم مجموعة المعارف الأساسية فى

أحد موضوعات المعرفة ، وغالبا ما تُرتَّب مداخل الموضوعات الجزئية بداخله ترتيبا هجائيا ، وبهذه الدلالة أطلق البكرى (ت ٤٨٧ هـ) على كتابه : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، وأطلق ياقوت الحموى على كتابه : معجم البلدان ، وكلاهما كتاب مرجعى للأسماء الجغرافية مرتب على حروف المعجم يعطى معلومات عن البلدان والجبال والأودية والبحار وغير ذلك وهناك «معجم الشعراء» للمَرْزُبَانى (ت ٣٨٤ هـ) ، ومعجم المطبوعات العربية والمُعَّربة تأليف يوسف إلياس سركيس (القاهرة ١٩٢٨م) ، وهناك معجم المؤلفين تأليف عمر رضا كَحَّالة (دمشق ١٩٥٧ - ١٩٦٣) . . . إلخ .

تعريف القاموس

القاموس فى اللغة :

من الفعل قمَس ، وقَمَس فى الماء يَقْمِس قُمُوسًا : انغطَّ ثم ارتفع والقَمْس : الغوص ، والقامس : الغوَّاص ، والقاموس هو قعر البحر أو وسطه أو معظمه ، وقال أبو عبيد : القاموس أبعد موضع غورا فى البحر ، وفى الحديث : قال قولاً بلغ به قاموس البحر ؛ أى قعره الأقصى ، وقيل : وسطه ، ومعظمه[1] . وواضح من خلال معنى كلمة القاموس أنه لا علاقة بينها وبين المعجم ، ولكن فى العصر الحديث أطلق اسم القاموس على المعجم، سواء أكان هذا المعجم باللغة العربية أم باللغة الأجنبية .

ومرجع هذا المعنى الذى ألصق بلفظ «قاموس» عَلَمٌ من علماء القرن التاسع الهجرى وهو مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس المحيط ، الذى نال شهرة واسعة ، وصار مرجعا لكل باحث ، وبمرور الوقت ومع كثرة تردد اسم هذا المعجم على ألسنة الباحثين ظن بعضهم أنه مرادف لكلمة معجم فاستعمله

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، مادة : قمس .

(٢) البحث اللغوى عند العرب ص ١٥٥ - ١٥٦ .

بهذا المعنى، وشاع هذا الاستعمال، وصار يُطلق لفظ القاموس على أى معجم[٢] .

وقد أقرَّ مجمع اللغة العربية استعمال كلمة قاموس بمعنى معجم ، وأقر جمعها على قواميس ، واحتجَّ لذلك بأنه من قبيل المجاز أو التوسع الدلالى فى الاستعمال[١] .

ويبدو أن اللغويين القدامى قد راقهم استعمال أسماء البحر وصفاته وإطلاق ذلك على معاجمهم، فقد أطلق الصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ على معجمه اسم : المحيط فى اللغة ، وأطلق ابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ على معجمه أيضا اسم : المحكم والمحيط الأعظم ، وأطلق الصاغانى المتوفى سنة ٦٥٠هـ على معجمين من معاجمه اسم : العُبَاب الزَّاخِر واللُّباب الفاخر ، ومجمع البحرين ، ثم أخيرا جاء الفيروزابادى المتوفى سنة ٨١٣هـ وأطلق على معجمه : القاموس المحيط . وهكذا صارت كلمتا : معجم وقاموس مترادفتين فى الدلالة على كل كتاب مرجعى يحتوى على مفردات اللغة ويشرحها ويبين معناها واشتقاقها ، وأصلها . . . إلخ .

دوافع تأليف المعجم

كان الدافع الرئيسى الذى دفع علماء اللغة إلى وضع معاجمهم هو حراسة القرآن الكريم من أى خطأ فى النطق أو الفهم ، وخاصة إذا علمنا أن هناك ألفاظا كثيرة وردت فى القرآن الكريم عدَّها اللغويون من الغريب والنوادر ، قد استغلق فهم معناها على الفصحاء من المسلمين الأوائل كأبى بكر الصديق وعمر ابن الخطاب ، ويسوق المؤرخون فى هذا الصدد روايات تؤكد ذلك ، فقد سُئل أبو بكر عن قوله : ﴿ وفاكهة وأبًّا ﴾ فقال : أىُّ سماء تُظلُّنى ، وأى أرض تُقِلُّنى إن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم ؟ ورووا أن عمر بن الخطاب قرأ

(١) المعجم الوسيط : مادة قمس .

على المِنبر : ﴿وفاكهةً وأبًّا﴾ ، فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها ، فما الأبُّ ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إنَّ هذا لهو الكَلَف يا عمر . ولذلك كانوا يستعينون بالشعر لبيان معانى القرآن الكريم ، فيقول ابن عباس : إذا أُشْكِل عليكم الشئ من القرآن ، فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب[1] .

ولعل هذا السبب نفسه هو الذى حمل النحويين على أن يعنوا بالنحو ليبعدوا عن اللسان الخطأ فى تلاوة القرآن الكريم ، فحرسوه بالقواعد النحوية ، ولهذا رأينا علماء النحو يضعون القواعد على أساس الشعر وكلام العرب لا على أساس القرآن الكريم[2] .

يضاف إلى هذا السبب سبب آخر هو أن اللغة العربية قد أصبحت جزءا من الدين الجديد ، ويؤكد ذلك حرص الرسول والصحابة على النطق بالعربية الفصحى ، وقد أخطأ أحد المتحدثين أمام الرسول فى اللغة ، فقال لمن حضر من الصحابة : « أَرْشِدُوا أخاكم فقد ضَلَّ » وهنا اعتبر رسول الله ﷺ اللحن فى اللغة أو الخطأ شيئا من الضلال والبعد عن الهداية والرشاد .

كما حث رسول الله ﷺ على تعلُّم العربية وتعليمها فى قوله : «تعلَّموا العربية وعلِّموها أولادكم فإنها لسان ربكم فى الجنة» ، وها هو عمر بن الخطاب يقول : «تعلَّموا العربية ، فإنها تقوِّى العقل وتزيد المروءة» ، وجاءت إليه رسالة من أبى موسى الأشعرى ، جاء فيها : من أبو موسى فغضب عمر وأمر أبا موسى أن يضرب كاتبه - الذى كتب له هذه الرسالة - سوطا ويؤخِّر عطاءه سنة ، لا لشئ إلا أنه أخطأ فى اللغة ، وكان ينبغى أن يقول: من أبى موسى . وليس من أبو موسى .

وهكذا نرى أن اللغة العربية صارت جزءا لا يتجزأ من الدين ، لأنها لغة القرآن الكريم، ولذا شمَّر اللغويون ساعد الجد وقصدوا إلى وضع المعجم العربى .

(١) الكامل المبرد ٢/ ١٦٤ ، الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ٢/ ٤ وما بعدها .

(٢) الصحاح والمعجمات العربية ص ٥٩ .

وهناك سبب اجتماعى هام دفع إلى وضع المعجم العربى ، ويتمثل هذا السبب فى التغير الذى طرأ على المجتمع العربى بعد الإسلام والذى أدى إلى انتقال العرب من حياة البداوة إلى حياة الحضارة واقتراب البدو من الحضر ، الأمر الذى ترك صداه على اللغة العربية فتأثرت بلغة أهل الحضر ، وهذا بدوره عرَّض اللغة العربية النقية للخطر ، فالمعين الذى كان الرواة يستقون منه اللغة الفصحى فى البادية يوشك على النضوب ، والعربية الخالصة تكاد تتقرض بانقراض العرب الخُلَّص من أهل البادية الذين لم يتأثر لسانهم بلحن الحواضر ، وكثر المُولَّدون ، وغلب الجيل الجديد الذى شب فى المجتمع العربى ، ينطق العربية على نحو جديد ، ويستخدم ألفاظا جديدة ، كل هذا دفع علماء العربية إلى جمع اللغة وتدوينها وحفظها خشية أن يتطرَّق إليها اللحن ويستشرى فيها الفساد والتحريف من ناشئة العرب الجدد الذين اعوجَّ لسانهم العربى ، وكادت تفسد اللغة على ألسنتهم .

وهناك أيضا سبب ثقافى هام دفع إلى وضع المعجم العربى مَرَدُّه إلى أنه بعد أن انكبَّ الرواة واللغويون على جمع مفردات اللغة ونزلوا البادية يتلقون عن العرب الفصحاء ، واتسع إدراك الناس وبخاصة العلماء منهم بأهمية العمل المعجمى ، توفَّر عدد من العلماء أمثال أبى عمرو بن العلاء وأبى مالك عمرو بن كركرة ، وأبى زيد الأنصارى وغيرهم ، توفَّر هؤلاء على الحشد الهائل من المادة التى جُمعت ، وعمدوا إلى تصنيفها فى شكل أعمال معجمية جادة ، فضلا عن زيادة الوعى وتضاعف الأحساس بالحاجة إلى إنتاج علمى فى كل مجال بما فى ذلك مجال المعجم .

فقد يخطر للإنسان خاطر يريد التعبير عنه فلا تسعفه حصيلته اللغوية فيلجأ إلى التفتيش فى بطون اللغة عساه أن ينشد ضَالَّته ، وما يعبر عن فكره . هذا وقد أخذت اللغة فى التوسع تبعاً لاتساع آفاق الفكر الإنسانى ، وتلا ذلك

ظهور الكتابة ، فسجَّل منها ما أمكنه تسجيله ، فازدادت الثروة اللغوية ، وشرع اللغويون فى شرح ما غمض منها حتى يتسنى الانتفاع بها ، فالإنسان بطبيعة تكوينه العقلى والجسمى لا يستطيع الإحاطة بكل ما حوله من أسرار الكون وقوانينه ، كما أنه لا يستطيع أن يسجِّل فى ذاكرته كل ما يصادفه من أحداث وأفكار ، وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للأحداث العامة ، فمن باب أولى فقدانه لكثير من معانى الكلمات التى تصادفه فى حياته ، ومن هنا كانت الدوافع إلى وضع المعجم العربى .

مراحل جمع اللغة

تواطأ الدارسون على أنَّ جمع اللغة العربية مرَّ بمراحل ثلاث هى :

١- **المرحلة الأولى** : جمع الكلمات حيثما اتفق ، فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة فى المطر ، ويسمع كلمة فى اسم السيف ، وأخرى فى الزرع والنبات فيدوِّن ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا السماع .

٢- **المرحلة الثانية** : جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد ، وتُوِّجت هذه المرحلة بكتبٍ أُلِّفت فى الموضوع الواحد ، فألف أبو زيد الأنصارى كتابا فى المطر ، وكتابا فى اللبن ، وألف الأصمعى كتابا فى النخل والكَرْم ، وكتابا فى الشاء ، وكتابا فى الإبل ، وكتابا فى أسماء الوحوش وكتابا فى الخيل ، وكتابا فى النبات والشجر . . . . إلخ .

ومثال ذلك ما أورده الأصمعى فى كتاب النَّخْل والكَرْم : «منْ صغار النخل الجَثِيث ، وهو أول ما يطلع من أمِّه ، وهو الوَدِىُّ والهِرْاء والفَسِيل ، ويقال للفسيلة إذا أخرجَتْ قلبها قد اتسغت ، وشحمة النخل هى الجُمَّار ، والسَّعَف هو الجريد عند أهل الحجاز ، واحدته جريدة ، وهو الخُرْص وجمعه خُرْصَان ، والخَلْب اللِّيف واحدته خَلْبَة » .

٣- **المرحلة الثالثة** : وضع معجم يشمل كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من أراد البحث عن معنى كلمة . وأول من وضع هذا المعجم هو الخليل بن أحمد الفراهيدى صاحب معجم العين .

منهج العلماء فى جمع اللغة

أبدى علماء اللغة حرصاً شديداً على أن تبقى العربية سليمة نقية خالية من اللحن ، ودفعهم هذا الحرص إلى اصطناع منهج صارم فى جمع المادة اللغوية التى يعتدون بها ، فحددوا لها إطارا زمانيا ومكانيا تمثَّل فى :

١- **الإطار الزمانى** : اعتمد علماء اللغة فى جمع مادتهم اللغوية على روايات النثر أو الشعر فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام وعصر بنى أمية ، وبداية العصر العباسى حتى نهاية القرن الثانى الهجرى ، وسمُّوا هذه الفترة الزمنية بعصر الاحتجاج أو عصر الاستشهاد ، ولم يعتدوا بما جاء بعد ذلك من روايات النثر أو الشعر ، واعتبروا ما جاء بعد هذا العصر فاسدا لا يُحتجُّ به ، وإن استباح بعض هؤلاء العلماء الأخذ عن فصحاء البادية حتى منتصف القرن الرابع الهجرى .

وقد قسَّم علماء اللغة الشعراء إلى أربع طبقات :

١- **طبقة الجاهليين** : كزُهَيْر ، وطرفة ، وعمرو بن كلثوم ، وامرئ القيس ، وعنترة . . . إلخ .

٢- **طبقة المُخضْرَمين** : وهم الذين شهدوا الجاهلية وصدر الإسلام ، أى امتدَّ بهم العمر حتى شهدوا العصرين : الجاهلى والإسلامى ، كالخنساء ، وحسان بن ثابت ، وكعب ابن زهير ، ولبيد بن ربيعة . . . إلخ .

٣- **طبقة الإسلاميين** : وهم الذين عاشوا فى عصر صدر الإسلام والعصر الأُموى ، كجرير ، والفرزدق ، والأخطل ، والبَعِيث . . . . إلخ .

٤- **طبقة المُولَّدين أو المُحْدثَين** : وهم الذين عاشوا فى بداية العصر العباسى ، مثل : بشار بن برد ، وأبو نواس ، والبحترى ، وأبو تمام .

وقد أجمع علماء اللغة على أن شعراء الطبقتين الأُوَلَيْن يُحتجُّ بشعرهم ، بغير نزاع ، أما الطبقة الثالثة ، فمعظم اللغويين يرون صحة الأخذ بشعرها ، غير أن بعضهم كان يأبى الاحتجاج بهم ، وأما الطبقة الرابعة فقد رفض اللغويون الاحتجاج بشئ من شعرها ، فيما عدا الزمخشرى (ت ٥٢٨هـ) صاحب معجم : أساس البلاغة ، هو الذى أجاز ذلك[١] .

واستشهد الزمخشرى فى تفسير أوائل سورة البقرة ببيت من شعر أبى تمام وقال : وهو وإن كان مُحْدثًا لا يستشهد بشعره فى اللغة ، فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة ، فيقنعون بذلك ، لوثوقهم بروايته وإتقانه[٢] .

وجدير بالذكر أن أبا تمام جمع بعض أشعار العرب فى الجاهلية فى كتاب سماه : ديوان الحماسة ، وهذا الكتاب يُعتدُّ به عند أهل اللغة ، فى الوقت نفسه لا يُعتدُّ بشعر أبى تمام ، الأمر الذى جعل الزمخشرى يسوِّى بين ما يرويه من أبيات الشعر فى كتابه : الحماسة وبين ما يقوله هو من أشعار .

٢- **الإطار المكانى** : حدد علماء اللغة بيئات لغوية معيَّنة يأخذون منها اللغة ، ولم يقوموا بجمع اللغة من كل العرب ، بل اختاروا بيئات وقبائل معينة تشتهر بالفصاحة ، فقد أخذوا عن قريش لأنها كانت أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وإبانة عما فى النفس ، وأما الذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى،

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى ١/ ٦ .

(٢) الكشاف للزمخشرى ١/ ٨٦-٨٧ ط دار الريان للتراث ، وذلك فى تفسير قوله تعالى : ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ ، والبيت الذى استشهد به الزمخشرى :

هما أظلما حالى ثمت أجليا ... ظلاميهما عن وجه أمردَ أشيبَ

وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب بعد قريش هم : قيس ، وتميم ، وأسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل فى الغريب ، وفى الإعراب والتعريف ، ثم هذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطائيين ، وبالجملة فإنه لم يُؤخذ عن حضرى قط ، ولا عن سكان البرارى ممن يسكن أطراف بلاد العرب ، التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم ، لأنه بمخالطتهم غيرهم من الأمم فسدت ألسنتهم .

وفى ذلك يقول ابن خلدون : ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات وأصرحها ، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثقيف ، وهذيل ، وخزاعة ، وبنى كنانة ، وغطفان ، وبنى أسد ، وبنى تميم ، وأما من بَعُد عنهم ؛ من ربيعة ، ولخم ، وجذام ، وغسَّان ، وإياد ، وقضاعة ، وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغتهم تامة المَلَكة بمخالطة الأعاجم ، وإلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم فى الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية[1] .

ومن خلال النص السابق يتبين لنا أن علماء اللغة وضعوا لأنفسهم أساسين هامين فى جمع اللغة ، الأساس الأول : كلما قربت القبيلة من بيئة قريش ، كانت أقرب إلى الفصاحة ، وإلى الأخذ بكلامها . والأساس الثانى : على قدر توغل القبيلة فى البداوة ، تكون فصاحتها[2] .

ثانياً : المدارس المعجمية

وضع علماء اللغة خلال ثلاثة قرون كل قواعد المعجم العربى ، ابتداء من أواخر القرن الثانى الهجرى حتى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وكل من جاء بعدهم حتى عصرنا هذا لم يضيفوا شيئا جديدا للقواعد التى وضعها هؤلاء

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٥٢٣ ط دار الشعب .

(٢) فصول فى فقة العربية ، د. رمضان عبد التواب ، ص ٥ .

اللغويون ، فلم يبتكروا ترتيبا جديدا للمعجم لم يعرفه القدماء ، وكل ما صنعه الخلف أنهم اختاروا طريقة أحد اللغويين القدامى وساروا عليها ، وأغفلوا ما عداها لأنها أقرب تناولا وأكثر تيسيرا وأبعد عن المشقة .

وفى وسعنا أن نحصر معجمات هؤلاء الرواد من الخليل بن أحمد إلى الزمخشرى فى خمس مدارس معجمية هى :

١- **مدرسة التقليبات الصوتية** : وهى التى اتبعت فى ترتيب المعجم مخارج الحروف ، بدءا بحروف الحلق ، ثم اللسان ، ثم الشفتين ، ثم حروف الجوف ، وهذه المدرسة تضع الكلمة وجميع تقليباتها تحت أبعد الحروف مخرجا ، فمثلا مادة : (ضرب) وتقليباتها : ضبر ، رضَب ، ربض ، برض ، بضر ، يبحث عنها فى باب الضاد ، لأنه أبعد الحروف مخرجا فى المادة ، ورائد هذه المدرسة هو الخليل بن أحمد الفراهيدى صاحب أول معجم عرفته العربية ، وهو معجم العين ، وقد سار على دربه فى هذه المدرسة : الأزهرى فى كتابه : تهذيب اللغة ، وأبو على القالى فى كتابه : البارع ، والصاحب بن عباد فى كتابه : المحيط فى اللغة ، وابن دريد فى كتابه جمهرة اللغة ، وابن سيده فى كتابه : المحكم والمحيط الأعظم .

وهذه المدرسة التى رادها الخليل بن أحمد اتبعت طريقة فذة لا يصمد لها ، ولا يصبر عليها إلا الأفذاذ من العلماء، لأنها تعتمد على مخارج الحروف ، وهذه تحتاج أذنا حساسة موسيقية ، كما أن هذه الطريقة فيها عسر ومشقة على الباحث ، وقد أشار ابن منظور فى مقدمة معجمه «لسان العرب» إلى عيوب هذه المدرسة بقوله: « كأن واضعه شرع للناس موردًا عذباً وحلأهم عنه ، وارتاد لهم مرتعًا مَرِيعًا ومنعهم منه ، قد أخَّر وقدَّم ، وقصد أن يُعربَ فأعْجَم ، فرَّق الذهنَ بين الثنائى المضاعف والمقلوب ،

وبدَّد الفكرة باللفيف والمعتّل، والرُّباعى والخماسى، فضاع المطلوب»[1] . ولذلك لـم يكن مُقدَّرا لـهذه الطريقـة أن تظل سائدة فـى ميدان التـأليف المعجمى .

٢- **مدرسة المعانى أو الموضوعات** : يبدو أن فكرة هذا النـوع من المعاجم الذى يرتب ألـفاظه بحـسب الموضوعات كـانت أسبق فـى الوجود من المـعاجم العربية المرتبة ترتيبا هجائياً ، وإن أخذت فى بدايتها شكل الرسائل اللغوية التى تتناول موضوعًا واحدًا من الموضوعات .

ومن أوائـل من ألفوا الـرسائل اللـغوية ذات الموضـوع الواحد أبو مـالك عمـرو بن كركـرة ، وابن الأعرابـى الذى ألَّف : الحـشرات ، وهمـا من علماء القرن الـثانى الهجرى ، وفى القرن الثالـث الهجرى ألَّف النَّضْر بن شُمَيل : الـسلاح ، والـنحـل ، والإبل ، والخـيل ، وألـف أبو عـمرو الشـيبانى رسـالة فى خلـق الإنسان ، وألف أبـو عبيدة مَعْمَر بـن المُثَنَّى : الزرع ، والمطر ، والمـياه ، وخلق الإنسان ، وألف أبـو زيد الأنصارى : الشجر ، والإبل ، والنحل ، والإنسان ، والنبات ، وكذلك الأصمعى ، ثم نصل إلى أبى عبيد القاسم بن سلام صاحب «الغريب المصنَّف» ، الذى يُعدُّ بحق رائدًا لهذه المدرسة . فهنـاك من الدارسين من نسب هذه المدرسة إليه، واعتبر أن أبا عبيد هو رائد مدرسة المعانى أو الموضوعات[2] . وهناك من اعتبـر ابن السكِّيت صاحب مـعجم الألفاظ هو أول مـن ألف فى هذا النوع[3] ، وبمقارنة تـاريخ وفاة الرجـلين ، أبو عبـيد (ت ٢٢٤ هـ) وابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) يتضح لنا أن أبا عبيد هو رائد هذه المدرسة .

ثم جاء بعده عبد الرحمن بن عيسى الهمذانى (ت ٣٢٠ هـ) صاحب كتاب

(١) مقدمة لسان العرب لابن منظور .

(٢) الصحاح والمعجمات العربية ص ١٢٨ .

(٣) فقة اللغة ، لعلى عبد الواحد وافى ص ٢٨١ .

الألفاظ الكتابية ، ثم قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) صاحب كتاب جواهر الألفاظ ، ثم جاء أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوى (ت ٣٩٥ هـ) صاحب مُتخيَّر الألفاظ ، ثم أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) صاحب كتاب : التلخيص فى معرفة أسماء الأشياء ، ثم جاء بعده أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافى (ت ٤٢١ هـ) صاحب كتاب مبادئ اللغة ، ثم أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى (ت٤٢٩هـ) صاحب كتاب : فقه اللغة وسر العربية ، ثم نصل إلى أكبر كتاب وأهم مصنف فى المعاجم العربية أُلِّف على هذا الترتيب ، وهو المخصص لابن سيده الأندلسى (ت ٤٥٨ هـ) ، وقد جاء هذا المعجم فى سبعة عشر سفرا ، ولم يأت بعد ابن سيده إلا أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل ، المعروف بابن الأجدابى (ت ٦٠٠ هـ) صاحب معجم : «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفِّظ» ، وفى العصر الحديث قام عالمان جليلان هما : حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدى على معجم المخصص لابن سيده فانتخلاه ، واستخرجا مُصَاصَته ، واصطفيا لُبابه فى كتابهما القيِّم : الإفصاح فى فقه اللغة ، وختماه بمعجم لمواده مرتب على حسب الحروف الهجائية ، وقد صار الإفصاح بهذا العمل الجليل معجمَ ألفاظٍ إلى جانب كونه معجمَ معانٍ .

وفى قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة ، وبإشراف العالم الجليل محمود فهمى حجازى تم إنجاز عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه تدور حول صنع معجم لغوى لأحد دواوين الشعر يجمع بين معجم الألفاظ ومعجم المعانى ، وهى معجمات فردية تقوم على الحصر الكامل لمجموعة المفردات التى وردت فى نص أدبى واحد ، يدرس الواحد منها ديوانا كاملا فيحصر ألفاظه ويحدد دلالة كل منها أو دلالتها فى النص ، ثم يعرضها مرتبة على حروف المعجم ، وطُبِّق ذلك على دواوين : عنترة ، والمتلمس ، والنابغة ، ولبيد بن ربيعة ، وعامر بن طفيل ،

وعمرو بن قميئة ، وكعب بن زهير ، ويمضى العمل لإكمال هذا المشروع للوصول به إلى المعجم الكامل لألفاظ الشعر العربى فى الجاهلية وصدر الإسلام .

٣- مدرسة الأبنية : وهى تقوم على أساس أنها تراعى فى ترتيب الكلمات الحركة إلى جانب الصوت الساكن ، فكل كلمة فى اللغة لابد أن تتكون من عنصرين هامين : الأول يسمى الحروف الصامتة : الضاد والراء والباء فى ضَرَبَ ، والثانى يسمى الحركات المصاحبة لحروف الكلمة ما عدا الحرف الأخير ، وعن طريق هذين العنصرين .

نعرف مثلا أن كلمة فَرِح على وزن فَعِل بكسر الراء ، وأن كلمة عَبْرة بفتح العين على وزن فَعْلة تختلف عن كلمة عِبْرة بكسر العين ، فلكل كلمة فى اللغة بناء خاص ، ولذا فقد جمع أصحاب هذه المدرسة الكلمات التى من بناء واحد فى باب واحد ، فمثلا باب فَعْل بفتح الفاء وتسكين العين تحته الكلمات الآتية :

الدَّرْب، والثَّقْب، والحَدْب ، والجَنْب ، والحَرْب ، والخَطْب ، والدَّرْب ، والذَّنْب ، والرَّحْب ، والرَّطْب ، والرَّكْب ، ..... إلخ

ولهذا النوع من المعاجم أهمية كبرى فى ضبط بنية الأسماء والأفعال فى اللغة العربية .

وقد ظهر أول معجم كامل اتبع نظام الأبنية فى القرن الرابع الهجرى على يد أبى إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى ، صاحب ديوان الأدب ، وقد قام مجمع اللغة العربية بالقاهرة بطبع هذا المعجم بتحقيق د. أحمد مختار عمر ، وظهر فى خمسة أجزاء ، جاء الجزء الخامس منها خاصا بالفهارس ، وقد أثنى عليه العلماء ، ووصفوه بأرفع الصفات فسموه : الجامع لديوان الأدب ، ووصفوه بأنه : ميزان اللغة ومعيار العربية ، وقد جاء

نشوان بن سعيد بن نشوان الحِمْيَرِىّ أحد علماء القرن السادس الهجرى مقتفيا أثر الفارابى فألف معجمًا من معاجم الأبنية ، وهو : شمس العلوم ، ودواء كَلام العرب من الكُلُوم ، ثم جاء الزمخشرى صاحب أساس البلاغة فشارك فى وضع معجم على نظام الأبنية وهو : مقدمة الأدب، وقد قسَّمه إلى خمسة أقسام : الأسماء، والأفعال والحروف وتصريف الأسماء ، وتصريف الأفعال .

وهناك من اختص الأفعال وحدها بدراسة معجمية ، وصنع لها معجما تبعاً لنظام الأبنية ، مع مراعاة ترتيب بنيتها وحروفها الأصول ، كما فعل ابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ) فى كتابه الأفعال، والسَّرَقُسْطِىّ (ت بعد ٤٠٠ هـ) فى كتاب الأفعال، وكذلك ابن القَطَّاع (ت ٥١٥ هـ) فى كتاب الأفعال أيضا .

٤- **مدرسة القافية** : وهذه المدرسة تقوم على تجريد الكلمة من الزوائد ، والاعتماد على أصولها ، وجعل الحرف الأخير بابا ، والحرف الأول فصلا ، مع مراعاة الحرف الثانى والثالث والرابع ، فمثلا كلمة « أخذ » نبحث عنها فى باب الذال ، فصل الألف ، ورائد هذه المدرسة هو أبو منصور إسماعيل بن حماد الجوهرى صاحب معجم : «تاج اللغة وصِحَاح العربية » والمشهور بالصِّحَاح ، وهناك من الباحثين من اعتبر أبا بشر بن اليمان بن أبى اليمان البندنيجى (ت ٢٨٤ هـ) صاحب كتاب : التقفية فى اللغة هو رائد مدرسة القافية لأنه تُوفِّى قبل الجوهرى بنحو مائة عام تقريبا .

وقد كان الهدف اللغوى لهذه المدرسة هو الاقتصار على الصحيح من اللغة ، وتيسير مهمة الشاعر والناثر فى انتقاء القافية أو الفاصلة المناسبة ، بالإضافة إلى التخلص من التصحيف والتحريف .

ومن أهم عيوب هذه المدرسة ، صعوبة البحث عن الكلمة التى يكون آخرها واو أو ياء ، ولعل هذه هو الذى حمل الجوهرى على أن يجمع الواوى واليائى فى باب واحد، واقتدى به فى ذلك الفيروزابادى فى القاموس المحيط، ومرتضى الزَّبيدى فى تاج العروس .

ومن أشهر أتباع هذه المدرسة بعد الجوهرى والبندنيجى الإمام الصاغانى صاحب ثلاثة معاجم مشهورة هى : التكملة والذيل والصلة ، وهو معجم أكمل فيه ما فات الجوهرى فى صحاحه ، ومجمع البحرين فى اللغة ، وفيه جمع بين الصحاح والتكملة والحاشية وسمى الجميع : مجمع البحرين ، ورمز فيه للصحاح بالرمز (ص) وللتكملة بالرمز (ت) وللحاشية بالرمز (ح)، والمعجم الثالث هو العُبَاب الزَّاخِر واللُّبَاب الفاخر، ومن أتباع المدرسة أيضا الفيروزابادى صاحب: القاموس المحيط، وابن منظور صاحب: لسان العرب ، وابن حسام الدين الشريف صاحب الراموز فى اللغة العربية ، ومرتضى الزبيدى صاحب تاج العروس من جواهر القاموس، وأحمد فارس الشدياق صاحب الجاسوس على القاموس .

٥- **مدرسة الأبجدية المعروفة** : وهى المدرسة التى اتخذت ترتيب المعجم على الحروف الهجائية ، مبتدئة بالهمزة ومنتهية بالياء مع مراعاة الحرف الثانى والثالث والرابع ، ويُعدُّ أبو عمرو الشيبانى هو رائد هذه المدرسة بمعجمه الجيم ، وقد كان الشيبانى معاصرا للخليل بن أحمد ولكنه لم يسلك دربه، بل ارتاد سبيلا أخرى حيث اعتمد على الأبجدية العادية: أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ..... إلخ ، ولكنه لم يراع فى الترتيب إلا الحرف الأول فقط ، ولم يعتد بالحرف الثانى أو الثالث ، فهو يذكر فى باب الهمزة كل حرف مبدوء بها دون أن يراعى ما بعدها من حروف فى الترتيب ، فهو قد ذكر فى باب الهمزة هذه الكلمات على هذا الترتيب

الأَوْق ، الألب ، المأفول ، الأُفُق ، الأَزُوح ، المأموم ، وآخر كلمة ذكرها فى هذا الباب هى : الإِدَّة مع أن حقها أن تُذكر قبل أول كلمة ذكرها فى معجمه .

ولهذا السبب لم تُنسب المدرسة إليه وإنما نُسبت إلى أبى المعالى محمد بن تميم البرمكى الذى قام بترتيب صحاح الجوهرى على حروف الهجاء المعروفة مراعيا الحرف الثانى والثالث والرابع من الكلمة ، ولما لم يكن للبرمكى معجم خاص به ينسب إليه فقد دفع ذلك بعض الباحثين إلى نسبة هذه المدرسة إلى الزمخشرى صاحب أساس البلاغة ، رغم أن ميلاده تأخر عن البرمكى بخمسة وتسعين عاما ، فالبرمكى ولد سنة ٣٧٢ هـ وتوفى سنة ٤٣٣هـ ، فى حين أن الزمخشرى ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفى سنة ٥٣٨ هـ، وريادة الزمخشرى لهذه المدرسة لها ما يبررها ، فالشيبانى رغم أنه اتبع الترتيب الهجائى فإنه لم يُحْكِم النظام ، ولم يلتزم إلا بأول الكلمة دون أن ينظر إلى ما بعدها ، والبرمكى أيضا رغم أنه رتَّب صحاح الجوهرى ترتيبا هجائيا راعى فيه الحرف الثانى والثالث وما بعدهما ، فإنه لم يكن له معجم خاص به، أما الزمخشرى فإنه أحكم نظام الترتيب الهجائى فضلا عن أنه صنع لنفسه معجما هاما فى العربية، وهو أساس البلاغة .

ومن أشهر أتباع هذه المدرسة أحمد بن فارس فى معجميه: مقاييس اللغة، ومجمل اللغة، وأحمد بن محمد الفيومى (ت ٧٧٢ هـ) صاحب معجم: المصباح المنير ، ومحمد بن عبد القادر الرازى (ت ٧٦٠ هـ) صاحب : مختار الصحاح ، وهو اختصار لصحاح الجوهرى .

وقد رأى اللغويون المحدثون سهولة هذه الطريقة فى الترتيب المعجمى فاتبعوها ، بل وأطلقوا عليها اسم المدرسة المعجمية الحديثة ، وهى أسهل للدارس ، حيث توضع الكلمة فى المعجم حسب أول حرف

أصلى منها مع مراعاة الثانى والثالث ، ولذا فإن المعاجم التى أُلّفت فى القرنين الماضيين سارت على منهج هذه المدرسة : فالبستانى وضع معجمين هامين على هذه الطريقة وهما : محيط المحيط ، وقطر المحيط والثانى اختصار للأول ، والأب لويس المعلوف اليسوعى وضع معجمه المنجد فى اللغة والأعلام والشيخ الشرتونى (ت ١٨٨٩م) وضع معجمه : أقرب الموارد فى فصح اللغة والشوارد ، وأصدر مجمع اللغة العربية المعجم الوجيز ، والمعجم الوسيط ، وثلاثة أجزاء من المعجم الكبير على هذه الطريقة .

ثالثاً : مجمع اللغة العربية وجهوده المعجمية

تبدأ الجهود المعجمية لمجمع اللغة العربية منذ إنشائه عام ١٩٣٢م ، وكان من أهم أغراضه أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ، وملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر ، وأن يقوم بوضع معجم تاريخى للغة العربية على غرار معجم أكسفورد التاريخى للغة الإنجليزية ، يهدف إلى تتبع ألفاظ اللغة العربية من أول نص وردت فيه ويبين مدلولها وثبات هذا المدلول أو تغيره على مرور الأعوام .

فأسند هذه المهمة إلى المستشرق الألمانى أوجست فيشر الذى أبلى فى ذلك بلاء حسنا وقام بجهود مضنية توّجها بإعداد مقدمة أوضح فيها منهجه وخطته، ونموذجاً لهذا المعجم ، ولم يتردد المجمع فى أن يجيبه إلى ذلك ، وأمده بوسائل العون المختلفة ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، فأوقفت كل شئ وباعدت بين فيشر ومصر ، وما إن وضعت الحرب أوزارها حتى قعد به المرض وحال بينه وبين العودة إلى مصر حتى مات عام ١٩٤٩م .

فلم يكن بدٌّ من أن ينهض المجمع بنفسه ويجنّد لذلك رجالا مخلصين

ويضع خطة لوضع ثلاثة معاجم : المعجم الكبير ، وهو معجم شامل يستوعب اللغة فى مختلف عصورها ، ويستشهد بالشعر والنثر فى أى عصر قيل فيه ، ويثبت الألفاظ الطارئة التى دعت إليها ضرورات التطور ، وفرضها تقدم الحضارة ورقى العلم .

وقد أخرج المجمع من هذا المعجم حتى سنة ٢٠٠٠م ثلاثة أجزاء ، تناول فى الجزء الأول حرف الهمزة ، وتناول فى الجزء الثانى حرف الباء ، وتناول فى الجزء الثالث حرفى التاء والثاء ، ومازال الأمل معقودًا على المجمع فى إتمام هذا العمل العظيم .

وهناك المعجم الوسيط الذى وضعه المجمع بناء على طلب وزارة المعارف سنة ١٩٣٦ ، فقد طلبت الوزارة أن يسعف المجمع العالم العربى بمعجم على خير نمط حديث ، بحيث لا يقل فى نظامه عن أحدث المعجمات الأجنبية ، ويكون محكم الترتيب ، واضح الأسلوب ، سهل التناول ، مشتملا على صور لكل ما يحتاج شرحه إلى تصوير ، ويشمل مصطلحات العلوم والفنون ، وبذا ينتفع به طلاب العلم وييسر عليهم تحصيل اللغة .

وقد حقَّق المجمع للوزارة هذه الأمنية ، بل حققها لكل عشاق العربية ومحبيها وصدر المعجم الوسيط مشتملا على نحو ثلاثين ألف كلمة ، وستمائة صورة ، ويقع فى جزأين كبيرين يحتويان على نحو ألف ومائتى صفحة ، من ثلاثة أعمدة .

ويُعُّد هذا المعجم بدون نزاع أوضح وأدق ، وأضبط ، وأحكم منهجا ، وأحدث طريقة ، يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهلية وصدر الإسلام ، ويهدم الحدود الزمانية والمكانية التى أقيمت خطأ بين عصور اللغة المختلفة .

ولم يشأ المجمع أن يحرم الناشئة والمتعلمين من أن يرتووا من هذا النبع اللغوى العذب ، فكان المعجم الوجيز الذى هو فى حقيقته اختصار للمعجم الوسيط .

وقد طبعت من هذا المعجم الوجيز طبعة مدرسية توزع على طلبة المدارس فى المرحلة الثانوية ، ولا غنى لهم عنه فهو يسعف المدرس والطالب فى الوصول إلى معانى الألفاظ وأصلها وجموعها ومجردها ومزيدها ، وأصل حرف العلة فيها .

ويهمنا فى هذه المقالة أن نعرف المنهج الذى سار عليه المجمع فى المعجم الوسيط ، وطريقة الكشف فيه ، لأنه هو المعجم المتداول بين المثقفين والمتعلمين الآن .

منهج المعجم الوسيط

ارتضى مجمع اللغة العربية أن يسير فى ترتيبه للمعجم طريقة الزمخشرى فى معجمه : أساس البلاغة ، وهى الطريقة العادية المعروفة بيننا الآن ، القائمة على الترتيب حسب حروف الهجاء .

وقد قسّم المعجم إلى أبواب بعدد حروف الهجاء ، فهو ثمانية وعشرون بابًا ويقع فى جزأين ، الجزء الأول يشتمل على حروف الهجاء من أولها حتى حرف الضاد ، ويبدأ الجزء الثانى بحرف الطاء وينتهى بالياء ، وأرقام الصفحات فى الجزأين متصلة فهو لم يبدأ فى الجزء الثانى بالصفحة رقم ١ ، وإنما أكمل على صفحات الجزء الأول .

وراعى المعجم الحروف الأصلية للكلمة ، فكلمة : محمود مكونة من ثلاثة أحرف أصول هى : ح - م - د مادته الأصلية .

وباب الهمزة فى المعجم يجمع كل الكلمات التى تبدأ بحرف الهمزة ، وباب الباء يجمع كل الكلمات التى تبدأ بحرف الباء ، وهكذا .

ثم يرتب مواد كل باب حسب الحرف الثانى من حروفها الأصلية إذا كانت الكلمة ثلاثية ، ثم يراعى ترتيب الحرف الثالث إذا كانت الكلمة رباعية ، ويراعى الحرف الرابع إذا كانت الكلمة خماسية .

ولنضرب لذلك مثالا :

- أبد ، أبق ، أبن ، أبو .

فهذه الكلمات الثلاثية السابقة مرتبة حسب الحرف الثانى وهو الباء مع مراعاة الحرف الثالث ، فالدال فى الترتيب الهجائى تسبق القاف ، والقاف تسبق النون ، والنون تسبق الواو ، وهكذا .

- بحبح ، بحتر ، بحثر ، بحدل .

فهذه الكلمات الرباعية السابقة مرتبة حسب الحرف الثانى وهو الحاء مع مراعاة الترتيب فى الحرف الثالث أيضا ، فالباء تسبق التاء ، والتاء تسبق الثاء ، والثاء تسبق الدال ، وهكذا يتم مراعاة ترتيب الحروف .

ومن المنهج الذى سار عليه أيضا أنه أعاد المادة إلى حروفها الأصلية ، فهناك كلمات صُدِّرت بالتاء المبدلة من الواو إبدالا دائما مثل : التهمة من الفعل وهم، والتؤدة من الفعل وأد، والتُّقى من الفعل وقى، والتراث من الفعل ورث، والتخمة. من الفعل وخم، هذه الكلمات وضعت مع أصلها فى باب الواو .

كما أنه راعى المجرد ولم يعتد بالمزيد ، فالفعل استغفر مادته غفر ، واستمع مادته سمع ، وهكذا راعى أصول الكلمة .

وفى داخل المادة اللغوية التى يعرضها قدم الأفعال على الأسماء ، والمجرد على المزيد ، والمعنى الحسى مقدم على المعنى العقلى ، والحقيقى مقدم على المجازى ، والفعل اللازم مقدم على الفعل المتعدى .

ورتب الأفعال على النحو الآتى :

- الفعل الثلاثى المجرد .
- الثلاثى المزيد بحرف .
- الثلاثى المزيد بحرفين .
- الثلاثى المزيد بثلاثة أحرف
- الرباعى المجرد
- الرباعى المزيد بحرف .
- الرباعى المزيد بحرفين .

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الأسماء فيبدأ بالاسم الثلاثى ثم الرباعى ثم الخماسى وهكذا فى كل مادة .

ففى مادة (أبد) نجد الآتى :

- (أبد) - أبودًا : توحَّش وانقطع عن الناس .
- (أبَّد) : الشئَ : خلَّده .
- (تأبَّد) : توحَّش .
- (الأبَد) : الدهر .
- (أبدا) : ظرف زمان للمستقبل .
- (الأبدىّ) : ما لا آخر له .
- (الأبديَّة) : مصدر صناعى من الأبد .
- (المُؤبَّد) : الحكم المؤبَّد فى القضاء : الحكم بالأشغال الشاقة مدى الحياة ، ويخفف إلى عشرين عاما . (محدثة) .

وهكذا بدأ بالفعل قبل الاسم ، وبدأ بالمجرد قبل المزيد من الأفعال والأسماء .

ونلاحظ أنه يسجِّل المواد اللغوية التى أنتجتها البيئات العربية فى شتى البقاع ، وعلى مدى العصور ، غير متقيد بما التزم به المعجميون من قبل عندما وقفوا باللغة حتى نهاية القرن الرابع الهجرى فقط .

فكلمة (المؤَّبد) التى تعنى الأشغال الشاقة لاتجدها فى أى معجم إلا فى المعجم الوسيط - لأنها كما أشار المعجم - محدثة .

هذا وقد وضع المعجم مجموعة من الرموز التى تسهِّل المعنى باختصار وهى :

١- (ج) : لبيان الجمع .

٢- (ـُـ) : لبيان ضبط عين المضارع بالحركة التى توضع فوقها أو تحتها

٣- (و -) : للدلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد .

٤- (مو) : المولد ، وهو اللفظ الذى استعمله الناس قديما بعد القرن الرابع الهجرى .

٥- (مع) : للمُعرَّب ، وهو اللفظ الأجنبى الذى دخل العربية وغيَّره العرب بالنقص أو الزيادة أو القلب .

٦- (د) : للدخيل ، الذى دخل العربية كما هو دون تغيير مثل : الأكسجين .

٧- (مج) : للفظ الذى أقره مجمع اللغة العربية .

٨- (محدثة) : للفظ الذى استعمله المحدثون فى العصر الحديث ، وشاع فى لغة الحياة اليومية العامة ، كلفظة المؤَّبد .

أما عن طريقة الكشف فيه :

- إذا كانت الكلمة مزيدة نجرِّدها من الزيادة .
- إذا كانت فعلا مضارعا أو أمرا نردها إلى الفعل الماضى : يقول ، قل ← قال .
- إذا كانت الكلمة جمعا ترد إلى مفردها ، نحو : أبطال - بطل ، أقلام - قلم .
- إذا كان فى الكلمة حرف أصلى شُدِّد نفك المشدَّد نحو : مَدَّ - مدد ، عَدَّ ، عدد .
- إذا كان فى الكلمة حرف مقلوب نرده إلى الحرف الأصلى مثل تهمة ، أصلها وهم .
- إذا كان فى الكلمة حرف أصلى محذوف نرده إلى الكلمة :

صفة ← وصف

أب ← أبو

دم ← دمو

هبة ← وهب

- إذا كان فى الكلمة حرف معتل يرد إلى أصله الواو أو الياء مثل : دعا أصله

يدعو ← دعو

وباع ← يبيع ← بيع

ويعرف أصل حرف العلة عن طريق المضارع أو المصدر .

فالفعل سعى آخره ألف ومضارعه يسعى آخره ألف أيضا ، أما مصدره سعيًا دل على أن أصل الألف ياء .

نموذج تطبيقى

بيِّن كيف تكشف فى المعجم الوسيط عن الكلمات الآتية :

استقال ، استدعى ، الهجاء ، المد ، القراءة .

استقال مجرده : قال ، مضارعه يقول ، مادته الأصلية : القاف والواو واللام ، إذن نكشف عنه فى باب القاف مع مراعاة ترتيب الحرف الثانى .

استدعى مجرّده : دعا ، وأصل الألف الواو ، ومضارعه : يدعو ، ومادته الأصلية الدال والعين والواو . إذن نكشف عنه فى باب الدال مع مراعاة الحرف الثانى وهو العين .

الهجاء : مادته : هجو . فى باب الهاء .

المَدّ : مادته : مدد . فى باب الميم .

القراءة : مادته قرأ . فى باب القاف .

التدريب على المعاجم العربية والمعجم الوسيط

س ١ تحدَّث عن بدايات نشأة المعجم العربى .

س ٢ تخيّر الإجابات **الصحيحة** مما يلى :

كان المرجع **اللغوى** للصحابة فى بداية العصر الإسلامى { رسول الله ﷺ - أبو بكر - عمر بن الخطاب }

كان المرجع اللغوى الثانى فى صدر الإسلام { عثمان بن عفان - على ابن أبى طالب - عبد الله بن عبَّاس } .

س ٣ اكتب عن مفهوم كلٍّ من : المعجم ، القاموس فى اللغة والاصطلاح .

س ٤ اذكر ما تعرفه عن مسائل نافع بن الأزرق .

س ٥ تحدَّث عن مراحل جمع اللغة العربية والشروط التى وضعها اللغويون لجمع اللغة .

س ٦ تحدَّث عن المدارس المعجم وأشهر أعلام كل مدرسة .

س ٧ اكتب عن المدرسة الصوتية ، وأهم أعلامها، وأثرها فيمن جاء بعدها .

س ٨ تحدَّث عن مدرسة القافية ، وأهم أعلامها ، وأهميتها .

س ٩ اكتب عن المدرسة الهجائية العادية ، وأهم أعلامها ، وأثرها فيمن جاء بعدها .

س ١٠ تحدَّث عن مدرسة الموضوعات ، وأهم أعلامها .

س ١١ اكتب عن مدرسة الأبنية ، وأشهر أعلامها ، وجوانبها الإيجابية والسلبية .

س ١٢ تحدَّث عن جهود مجمع اللغة العربية فى مجال المعجم .

س ١٣ اكتب تقريراً عن المعجم الوسيط ، ومنهجه ، مع نقل عشر كلمات بمعانيها منه .

س ١٤ ما الخطوات التى يجب اتباعها للكشف فى المعجم الوسيط .

س ١٥ بيِّن الجذور اللغوية للكلمات الآتية : اللغة ، المائدة ، الإتقان ، التقوى ، التهمة ، الميراث ، الاتحاد ، الميناء ، الكرَّاسة ، الاستقامة ، الاستدعاء ، الأشباه ، النظائر ، الدولة ، الفنّ ، التلاقى ، الهبة ، الرياضة ، البدايات ، الاختيار .